ونحن نرفع أعلام الشكر والثناء في منارنا لآل أباظه السراة الكرام ونرجو أن يكونوا خير قدوة لابناء الامراء والاغنياء في الديار الذين أصبحوا على أمتهم عارا، وحملوا أنفسهم وأهليهم اوزارا، وكانوا لاوطانهم خرابا ودمارا، اصلح الله شؤوننا وشؤونهم بمنه وكرمه

أنسنا بلقاء حضرة الفاضل محمد افندي مصطفى الدوملي الاسكندري وكيل جريدة (معلومات) وقد أهدى الينا أبيات مطرزة باسم (المنار) يقرظه بها فننشرها شاكرين له وممتنين من لطفه وهي

ا أنتم بمن أنشا وصاغ (منارا) بيديع در قد زها وأنارا
ل لاحت معارفه بنور فضائل وبلاغة تدع الفهوم حيارى
م مالت عقول أولي العقول له كما عنه أخو الجهل انثني وتواري
ن نعم المؤسس للمنار وحبذا طرق لخير الناس فيها سارا
ا الله يمنحه (رضا) ويزيده (رشدا) ونجحا دائما ووقارا
ر رام الهداية للانام فمن نحا نهج الهدى فليتخذه منارا

التعصب (*)

قد علمت ان التعصب هو عبارة عن القيام بالعصبية، وان مناط العصبية في اصطلاح هذا العصر هو الجنس أو الدين، وان الافرنج ومن احتذى مثالهم من أبناء المشرق حذو القذة للقذة يفرقون في مدح التعصب للجنس على اطلاقه، ويعدونه المشكل للدول، والمقوم للامم

(*) فاتحة العدد السادس والعشرين الصادر في ٢٦ ربيع الثاني سنة ١٣١٦

ويفتخرون بالتغالي به والاستبسال في سبيله ويرون أن الشرف الاعلى والكمال الارفع في بذل النفس والنفيس في تقوية الجنسية ونصب الاشراك والاحابيل لايقاع سائر الشعوب فيها

ويخصون التعصب للدين بالازراء والازدراء والثلب والسب والطعن والقدح، ويعدونه منبع الشرور ومولد الفتن وعدو المدنية ومثار الحروب ومقطع الصلات بين الامم، ويتنذرون الاتصاف به، ويتنصلون من الانتساب اليه، بل استعملوا لفظه للسباب والشتيمة، ويزعمون ان صاحبه خابط في ظلمات الجهالة، والتعصب غشاوة على عينه، أو حجاب كثيف يحول بينه وبين نور المعرفة، بل هو أ كمه لاقابلية فيه لادراك نور المدنية الصحيحة !!!

فليت شعري هل يرى هؤلاء ان الدين المطلق هو منبع الشرور ومصدر الرذائل والعقبة الكؤد في طريق المعارف ! وان اللغة من حيث هي لغة مجمع أزمة الفضائل ومنبعث أشعة العلوم والعرفان ! كيف وجلهم أو كلهم ينتسب للدين تشرفا به ولو رمى بلقب الكفر تقوم قيامته ويتبرأ من هذا اللقب الشائن الذي رماه به الشانئ ، بل ان عقلاء الكفار من هؤلاء المتمدنين يعترفون بفضل الدين وان كانوا لايدينون به ، ويشهدون أنه المهذب للنفوس الرادع لها عن الشرور ، وانه يزع مالا يزع السلطان لانه مهيمن على النفوس لا يفارقها في حنادس الليالي ، ولا يزايلها وراء الحجب والاستار ، حيث تنام أعين القضاة ولا تصل أيدي الشرطة والاعوان

لا ترجع الانفس عن غيها ما لم يكن منها لها زاجر

فلم يبق من شبهة لمن يخص التعصب الديني بالمقت والذم ، والجنسي

بالشرف والاطراء ، الا الغرض وأنا أقص عليك غرض الاوربيين منه فاستمع لما يتلى

أنت تعلم ان المنفعة مدار كل عمل عند هؤلاء القوم . فاما انتفاعهم من التعصب للجنس وتربية الامة على حب جنسهم مهما اختلفت أديانهم ومذاهبهم فهو انهم تمكنوا به من توحيد أممهم ، وامنوا من عواصف الثورات التي كانت تهب في بلادهم كالريح العقيم ، ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم ، وهو الذي نقاسي اليوم عناءه ، ونساور بلاءه في أرمينيا وكريت وغيرهما من البلاد العثمانية ، التي فقدمنها هذا التوحيد لاهمال التربية على التحاب والتواد والاعتصاب بالجنسية العثمانية الجامعة .

وأما انتفاعهم من التعصب الديني فهو انهم شكلوا الجمعيات الدينية وجعلوها من آلات الفتوح وأرسلوها الى آسيا وأفريقيا أوزاعاً أوزاعا (جماعات متفرقة) تحت حماية دولهم فعملت مالا يعمل السيف بل كانت تسير على أثرها الجواري المنشآت في البحر كالاعلام ، تحمل المدافع القوهاء التي تدمر كل قطر ينظر فيه لاحد المرسلين شزراً ، أو تستعمره استعماراً

انظر تاريخ أوربا مع الشرق كله وبين يديك الان شاهد قريب وهو اندفاع دول أوربا الكبار على الصين ومبدأه احتلال ألمانيا لكياوتشاو بسبب قتل بعض المرسلين ولم يكتفوا بهذه المنافع والمغانم بل هم ينفخون هذا الروح « التعصب » في نصارى الشرق بواسطة جمعياتهم السرية والجهرية ويربونهم عليه في المدارس السياسية الدينية التي ينشؤنها في بلادهم . يمثلون لهم لدى تعليم التاريخ صورة ماضيهم مع بني وطنهم بصفة مشوهة تنفر منها النفوس وتقشعر الجلود ، ليوقعوا بينهم

العداوة والبغضاء، ثم يمدونهم بالحماية والنصر ويمنونهم بالاستقلال اذا هم شقوا عصا الطاعة وخلعوا رداء السلطة

ذلك وعد غير مكذوب، يجتهدون في الوفاء به ما وجدوا للوفاء سبيلا، واعتبر ذلك في الفتن الاخيرة في بلاد الدولة العلية من عهد مقدمات الحرب الروسية الى عهد المسألة الارمنية والمسألة الكريدية تلقه واضحاً جليا

ومما يقضي على العاقل بالعجب ان هذه الدول لا تحاشي المجاهرة بالانتصار للنصارى بعنوان حماية الديانة النصرانية

ولو ان دولة أو امارة اسلامية سألت عن حال المسلمين في مستعمرات تلك الدول من حيث زراعتهم أو تجارتهم فضلا عن الانتصار لهم لقامت عليها قيامة أوربا وأجمع دولها على وجوب تأديبها لانها حركت سواكن التعصب الديني الذي يقوض أساس العمران بل لو انفجرت براكين العدوان في بلادهم فأحرقت جميع أرباب المذاهب لا تتحرك لهم عاطفة رحمة، ولا تجيش في صدورهم حمية، سواء كان المحترقون بتلك النيران نصارى أم غير نصارى، اللهم الا ان كانوا من جنسهم فالفرنساوي لا يحن في أوربا الا للفرنساوي والانكليزي لا ينظر الا للانكليزي وهلم جرا

فالتعصب الديني عندهم محرم في الغرب، واجب في الشرق، اللهم انه واجب كونه مذموماً لفظه لا فعله وعلى اجتناء المنافع المدار وهو المبدأ واليه المآل

واما ما يثرثر به هذا الشيء الجديد في الشرق من لفظ التعصب والمتعصب في معرض الذم فهو لفظ عن غير عقل ولا بصيرة بل ليس

الا صدي ما يقوله أولئك المختلبون،[1] يرجّعه هؤلاء المختلبون ، أو هو حكاية أصواتهم من غير ملاحظة ما ترمي اليه . الاترام يرددون كثيراً لفظ (فناتيك فناتيك) أي تعصب ديني

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

الا من انفصل من جنسيته الشرقية واتصل بهؤلاء الافرنج كما تنفصل النيازك من كوكب فيجذبها اليه كوكب آخر تتصل به وتكون جزأ داخلاً في بنيته .

ومن تجرد من جلابيب الحظوظ والاغراض، وترفع عن التحزب للاديان والاجناس، ونظر في الشؤون بعين الانصاف، جاعلا مطمح نظره الحقيقة ، تجلى له انه لا فرق بين التعصب للجنس والتعصب للدين ، الا بما يكون به الاول أشرف رابطة وأقدس مناطا، وان كلا منهما فضيلة اذا وقف عند حد الاعتدال ، وان الغلو في كل منهما رذيلة تدعو الى ايذاء المتعصب لمخالفه فيما قامت به العصبية، وتحمله على التعدي وهضم الحقوق واختلاس المنافع . والعقل المجرد عن الشوائب يحكم بقبح ومذمة التعدي والايذاء لذاتهما، من غير نظر الى سببهما ، ومن نظر في التاريخ يرى ان كلا من هذين النوعين للتعصب قد نشأ من الافراط فيه منازعات وحروب اهريقت فيها الدماء، ويتمت الاطفال وأيمت النساء .

نعم ان للحروب وجها يرجع الى قاعدة ارتكاب أخف الضررين وليس هنا مجال للبحث فيه

يرمي الافرنج والمتفرنجون المسلمين بالتعصب الديني الذميم أي الافراط

(١) الاختلاب كالخلابة الخديعة بالكلام

فيه المؤدي الى ايذاء المخالف ، وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا ، تحملهم عليه الاغراض السياسية وهم يعلمون انهم كاذبون ، هذا الافراط في التعصب لم يوجد في ممالك المسلمين الا بين أرباب المذاهب الاسلامية كالمعتزلة والخوارج والشيعة من أهل السنة ، وأما بين أهل الاديان المختلفة فلم يكن له أثر الا مالا تخلو عنه طبيعة الوجود مما يكون مثله بين أبناء المذاهب الواحد حتى اضرمت ناره أوربا بالحروب الصليبية فاستضاءت هي بنورها ، وري بشرر شرورها آخرون

من يجهل التاريخ ينخدع بما يلفظ به المذاعون من الافرنج والمتفرنجين ، ويصدق جرائدهم فيما تزعم من براءة أوربا من التعصب الديني ، ويغتر بتلفيقهم وتمويههم الحقائق وابرازها في أثواب الزور المدبجة بألوان التمدن العصري ، لكن أسفار التاريخ على علاتها واختلافها تشهد على أوربا بالتعصب المشوه منذ دخلت في النصرانية الى ما بعد الحرب الصليبية ، وبالتعصب المموه في هذه القرون الاخيرة ، غض بصرك عن إبادة اسبانيا للمسلمين في بلاد الاندلس وعن معاملتها هي وروسيا لليهود الذين أجبروا على النصرانية ومن لم يقبل كان جزاؤه القتل او الاجلاء من وطنه ، ومصادرته في ماله وعقاره ، وارم باشعة النظر الى الامتين العظيمتين زعيمتي التمدن وناشرتي لواء الحرية والعدالة والمساواة . . . انكلترا وفرنسا ، لم تكتف الواحدة منهما بتأليف الجمعيات لتنصير المسلمين وغيرهم ، ولا بغرس التعصب الذميم في نفوس تلامذة المدارس التي ينشؤنها في البلاد الشرقية وعلى الاخص بلاد الدولة العلية ، ولا بإثارة الدسائس والفتن بين النصارى والمسلمين في البلاد التي قوي نفوذهم وتداخلهم فيها ، لكثرة النصارى الآخذين عنهم

والمخالطين لهم ، ولا بالتحامل على الدولة العلية والاجتهاد في سلخ بلادها التي يكثر فيها المسيحيون ، واعطاء تلك البلاد الاستقلال عن الدولة أو الحاقها بحكومة مسيحية — بل لا يزال روح التعصب الذميم محركا لالسنتهم ، ومالكا أزمة عامتهم وخاصتهم ، وناهيك بعظيم انكلترا وقيدها المستر غلادستون وخطبه ضد الاسلام ، وكلمته الاولى في وجوب اعدام القرآن ، وكلمته الآخرة في وجوب تطهير أوربا من المسلمين ، فأخذه الله نكال الآخرة والاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى

ودونك كلمة أخرى من عظماء الانكليز عبر بها عن قاعدة من قواعد السياسة التي يجب على أوربا العمل بها وهي كلمة اللورد سالسبري في وجوب اعادة ما أخذه الهلال من الصليب للصليب دون العكس ، كبرت كلمة هو قائلها ، وعليه وزرها ووزر من عمل بها ، ولا تنس معاملة البريطانيين لمسلمي ليفربول ، ورجمهم بالاحجار في مصلاهم ، بله معاملتهم للهنود وغيرهم من البعداء عن أرض التمدن والحرية ، بل لا تنس تعصبهم على كاثوليك ارلنده وعدم مساواتهم بالبروتستان !!!

واذكر ما نقله المقطم من عهد غير بعيد عن الفرنساويين واستنكافهم من السفر مع المسلمين في حوامل (عربات) السكك الحديدية في تونس والجزائر ، ولديك الآن في فرنسا مسألة دريفوس التي أقامت الامة الفرنسوية وأقعدتها ، فتألب حكامها ومحكوموها على اليهود جميعهم بجريرة أسندت الى بعضهم كذبا وبهتانا وتعصبا ذميما ، ومن وقف على دخائل هذه المسألة ودقائقها يتعجب من غلواء الفرنساويين وطيشهم وتعصبهم الاعمى

ويحكم بأن التهذيب لا يمكن ان يلابس النفوس الا بالدين السماوي من غير غلو فيه ولا تفريط ولا افراط وهو مافقده الاوربيون في الجملة والفرنسويون في الجملة والتفصيل

قال قائل ان ظل الديانة قد تقلص عن فرنسا وعن عامة أوربا وان الحكومة الفرنسوية صرحت رسميا بانه لا دين لها فكيف تغلو في التعصب للدين وهي ليست على دين ؟ ونحن نقول صدق القائل فيما حكاه عن فرنسا وسائر أوربا ويؤيد قوله هذا مانقل عن كثير من العارفين بأحوال أوربا كالخطيب لوازون الفرنسوي في خطبته في الاوبرا الخديوية بمصر وغيره ، وجاء في مجلة المقتطف الغراء عن الدكتور يعقوب افندي صروف أحد منشئيها انه دخل احدى كنائس باريس متفرجا فرأى فيها جماعة ولم يكن يوم أحد ، فقال ماأراكم الا متدينين يا أهل باريس ، فقال له الدليل وهو فرنسوي لا تغرنك الظواهر لكن التعصب على المخالف في الدين لا يستلزم تمسك المتعصب بالدين حقيقة ، وانما يكفي فيه الانتماء له ولو اسما ، فكيف اذا انضم الى ذلك جملة عاملا من عوامل السياسة ، وأداة من أقطم أدواتها ، وتأيد بالوراثة الطبيعية عن الآباء والاجداد ، والغرائز والسجايا الموروثة لا تنزع وتمحى آثارها بمجرد اعتقاد بطلان مناشئها وقبح مصادرها وموارديها

قال القائل ان تحامل الدول الاوربية على الدولة ناجم عن محض المطامع السياسية أو خدمة الانسانية بازالة الظلم واصلاح البلاد ، وليس للتحمس الديني فيه يد ، ولولا ان جميع حركات أوربا وسكناتها صادرة عن منازع السياسة دون منازع الديانة لما حارب بعضهن بعضا ، ولما وازرن الدولة العلية في حرب القرم بل وفي الحرب اليونانية الاخيرة ، والجواب عن

هذا في غاية الظهور : أما كون المطامع السياسية هي المالكة لارادة دول أوربا والمصرفة لها فهو مما لا ريب فيه ، الا ان هذه المطامع لما أوجبت معاملة الدولة العلية معاملة لا تنطبق على معاملة بعضهن لبعض وكان من المشاهد انهن يكان لها في السلم والحرب بغير المكيال الذي يكان فيه لانفسهن في السلم والحرب حتى انهن يسلبن من بلادها في الحالتين على السواء — علمنا ان المطامع السياسية الاوربية مشوبة بالتعصب الديني الذميم تلقاء الدولة العلية بل أقول ان للنزغات الدينية أثراً عظيما في السياسة الاوربية العامة، تشهد لذلك علاقات الشعوب البلقانية مع روسيا، وعلاقة ايرلندا مع فرنسا ، ومن أقوى شواهده ما كان للحرب الاميركية الاسبانية من الاثر المختلف عند أمتي الحرية انكلترا وفرنسا ، فقد كان ضلع الاولى مع الاولى والثانية مع الثانية ولا ينكر أن لاتفاق المذهب واختلافه يداً في ذلك ، وان كابر المكابرون وموه المموهون . نعم ان الجنسية والوطنية في تنازع دائم مع الدين عند الامم الغربية ، حتى ان الكاثوليكي الاميركي قد يحارب أخاه الاسباني ، الا انهم لم يصلوا في ذلك الى محو سلطة الدين والمذهب على النفوس بسلطة الوطنية والجنسية .

وأما دعوى خدمة الانسانية والسعي في ازالة الظلم واصلاح البلاد فهي خداع وتغرير للعقول ، أليس في بلاد بعضهن وفي مستعمرات جميعهن من الظلم ما يجب ازالته أولا ؟ لم لم تتعرض الدول الاوربية لاغاثة أهالي كوبا كما تعرضن لاغاثة أهالي كريت مع ان ظلم أسبانيا لكوبا مما لا ريب فيه وهو الذي حملها على العصيان بخلاف كريت فان عصيانها كان بدسائس أوربا التي صادفت من أهل كريت نفوسا خبيثة مجبولة على الفتن والشغب

كما وصفهم مقدسهم بولس في احدى رسائله !!!! . وأما انتصار بعضهن للدولة العلية في حرب القرم ومحاربة بعضهن بعضا فلا ينهض حجة على نفي التعصب ولا اثباته بل بعض ذلك من مطامع السياسة المحضة وبعضه من المطامع المشوبة بالنزغات الدينية يعرف ذلك المؤرخون المدققون

أما المسلمون فقد كانوا في شبيبة دينهم وعنفوان قوتهم يحترمون مخالفيهم في الدين ويساوون بينهم وبين أنفسهم في الحقوق « لهم مالنا وعليهم ماعلينا » وهذا في حق الذمي والاجنبي المعاهد دون الحربي وقد ذكرنا في العدد الثاني والعشرين محاكمة الامام علي ـ وما أدراك من هو ـ مع يهودي عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعاتبة علي لعمر بعد المحاكمة على عدم المساواة بينه وبين خصمه حيث كناه وسمى خصمه (وسنذكر ما فرضت الشريعة الاسلامية من الحقوق للذمي والاجنبي المعاهد في فرصة أخرى) فهل وصل الاوربيون في نهاية مدنيتهم الى شيء مما كان عليه المسلمون في بدايتهم وبداوتهم من المساواة ؟

كلا انهم لا يحتلون بلاداً ولا يطأون أرضا الا ويجعلون أنفسهم فوق كل شريعة وقانون وهو ما يسمونه بالامتياز سواء كان حلولهم في الارض حلول فتح واستعمار أو حلول ارتياد واتجار !

لم يقف المسلمون عند هذا الحد من المساواة والعدل بل تخطوه الى حد أبعد منه وهو معاملتهم للمخالف معاملة الاكفاء فيما يتعلق بالشرف والفضل « التشريفات » وتقليدهم المناصب العالية ان كانوا أهلا لها حتى كان منهم من تولى قيادة الجيش في أسبانيا وكثير منهم ارتقى الى رئاسة الدواوين القلمية وغيرها وحفظ أسرار الخلفاء والملوك « سكرتير » ولم

يكن ذلك خوفا من مراقبة دولة أخرى تتعصر لهم ولا استمالة لهم ولقومهم للاسلام . كيف وقد كان من عمال الامويين من يكره دخول المخالفين في الاسلام لئلا تنقص مبالغ الجزية

لو شئنا سرد الشواهد على حسن معاملة المسلمين لمن خالفهم في الدين أيام تمسكهم بالدين وعملهم بآدابه واهتدائهم بهديه لاحتجنا الى تأليف رسالة أو كتاب لكننا نزيد على ما أشرنا اليه شاهداً واحداً مما كان أيام الدولة العباسية ونشير الى بعض الشواهد في عهد الدولة العثمانية فنقول « ستأتي البقية »

اقتراح القيصر

اهتز العالم للمنشور الذي ابلغه قيصر روسيا بلسان ناظر خارجيته لعامة دول اوربا يقترح فيه عقد مؤتمر للبحث في وضع حد للاستعدادات الحربية التي أثقلت كواهل الدول واستنزفت ثروة الامم واستأصلت منها الخيرات والبركات والقوى المادية والادبية وما صرح به المنشور أن آلات الهلاك والدمار الحديثة التي انفقت عليها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ربما تمسي بعد قليل من الزمن ألقاء [1] لا ينتفع بها بمخترعات جديدة يبطل فعلها وذلك مما يحتاج الثروة ، والخطر الناجم عنه يجعل السلم المسلح وقرا ينوء بالامم ، فاذا طال الامد فلابد ان يفضي الى الويل الذي ترغب الدول في مجانبته ويروع العقل البشري توقعه

الاقتراح لا خلاف في شرفه ، ولم تذكره جريدة في أوربا الا واثنت

---

(١) الالقاء جمع لقا بفتح اللام وهو الشيء الذي يطرح ويلقى نحو الاستهانة به